لغة – كلام الاستلام: 2026/06/28 القبول: 2026/11/02 النشر: 2026/11/26

تمثلات المسارات الفضائية في شعر المتنبي مقاربة عرفانية في قصائد الوصف والرحلة

✍ حنان بن جامع
جامعة 08 ماي 1945 قالمة – الجزائر
bendjamaahanene@gmail.com

ملخص البحث

تستكشف هذه الدراسة بنية المسارات الفضائيّة في المتخيّل الشّعري الكلاسيكي، متّخذة من ديوان أبي الطّيّب المتنبّي أنموذجا تطبيقيّا في قصائد الوصف والرّحلة، تنطلق الدّراسة من فرضيّة مفادها أن تمثّلات الفضاء والحركة في شعره لا تقتصر على التّصوير المادّي، بل تُشكّل بنى تصوّرية عرفانيّة تعكس التّرابط بين الحركة المكانيّة و أبعادها الوجوديّة.

يركّز التّحليل منهجيّا على "المسارات المغلقة" ثنائيّة التّحديد، لكونها البؤرة التي تشكّل دائرة دلاليّة تعكس سعي الشّاعر وترسّخ فكرة الغاية؛ بما تحمله من إمكانات تأويليّة غنيّة لقضايا الذّات والوجود.

تعتمد الدّراسة منهجيّة وصفيّة تحليليّة مستندة إلى اللّسانيات العرفانيّة، بهدف مدّ الجسور بين التّنظير اللّساني الحديث والتّراث الشّعري العربي.

تُظهر النّتائج أن الوصف والرّحلة يلتقيان لتأسيس هذا المسار العرفاني؛ الذي يعدّ مفتاحاً لتأويل طبقات المعنى الكامنة، إنّ هذا البحث يمثّل نقطة التقاء بين الأصالة والمعاصرة، كاشفاً عن البنى التصوّرية العميقة والدّلالات الإدراكيّة التي تُسهم في تطوير آليّات فهمنا للنّص التّراثي و إبراز إمكاناته التأويليّة المتجدّدة.

الكلمات المفتاحية: اللّسانيّات العرفانيّة، المسارات الفضائيّة المغلقة، الوصف، الرّحلة، المتنبّي

LOUGKA - KALAM Reçu le: 28/06 / 2026 Accepté le: 02/11 / 2026 Publié le: 26/11 / 2026

Representations of Spatial Paths in Al-Mutanabbī's Poetry: A Cognitive Approach to Descriptive and Travel Poems

✍ Hannene Bendjama
bendjamaahanene@gmail.com
08 May 1945 University - Guelma / Algeria

ABSTRACT:

This study explores the structure of spatial trajectories within the classical poetic imagination, using the Diwan of Al-Mutanabbi as a case study in descriptions and travel poems. It posits that representations of space and motion extend beyond physical imagery to form cognitive conceptual structures, reflecting the interconnection between spatial movement and existential dimensions. Methodologically, the analysis focuses on dually-defined "closed trajectories," as they constitute the semantic core reflecting the poet's quest and reinforcing the concept of purpose, which offers rich interpretive possibilities for notions of selfhood and existence. The study adopts a descriptive-analytical approach grounded in cognitive linguistics to bridge modern linguistic theory and Arabic poetic heritage. The findings reveal that description and travel converge to establish this cognitive trajectory, serving as a key to interpreting underlying layers of meaning. Ultimately, this research bridges tradition and modernity, uncovering deep conceptual structures and perceptual significances that enhance our understanding of heritage texts and highlight their renewable interpretive potential.

KEYWORDS: Cognitive Linguistics, Closed Spatial Trajectories, Description, Travel, Al-Mutanabbi

1.مقدمة:

شهد البحث اللساني المعاصر تحوّلات جذريّة تجاوزت المقاربات البنويّة نحو التّفسير الشامل للظاهرة اللغوية، وتجلّى ذلك في اللّسانيات العرفانيّة (Cognitive Linguistics) التي ربطت اللّغة بآليّات الذّهن والخبرة الجسديّة؛ حيث أضحى علم الدّلالة العرفاني منصبّا على وصف المعنى عبر العمليات الإدراكية، ويُعد مفهوم "المسارات الفضائية" (بأبعادها الفيزيائية والاستعارية) من القضايا الجوهرية التي تبرز كيف تتجسد خبراتنا الحركية في أبنية تصورية تعبّر عن مفاهيم مجردة، وتنقسم هذه المسارات إلى أنماط أبرزها: المسارات المغلقة، الممرات، والاتجاهات، وفي هذا الإطار يُشكل شعر المتنبي - بمركزيّة غرضي الوصف والرحلة فيه - جهداً خصباً لمقاربة حركة الشاعر بعدّه مسارا رمزيّا يتجاوز الوصف السطحي إلى التحقق الوجودي، وتعتمد هذه الدراسة منهجاً وصفياً تحليلياً مستنداً إلى أدوات اللسانيات العرفانية، مستهدفةً النمط الأول وهو "المسارات الفضائية المغلقة" (محدودة الأطراف [مصدر/هدف]) بشقّيه الحقيقي والاستعاري، مع التركيز على المسارات المصدرية لكونها تجسّد نموذجاً دلالياً مكتملاً ينطلق من مصدر محدد ليصل إلى هدف واضح، مما يناسب تجربة المتنبي التي تُعلي من شأن الغاية والسعي، من هذا المنطلق يطرح البحث إشكالية مركزية تتجسد في التساؤل الآتي: إلى أي مدى يمكن استثمار تصوّر اللسانيات العرفانيّة ومنوال "المسارات الفضائيّة المغلقة" في تحليل وتفكيك بنيات المعنى في شعر المتنبي - تحديداً في قصائد الوصف والرحلة -؟

وتتفرّع عن هذه الإشكالية الأسئلة الجزئية الآتية:

- ما الجديد الذي أضافته اللسانيات العرفانيّة لدراسة الدلالة ورسم المعنى؟
- كيف ترمّز اللغة العربية مفاهيم الفضاء والمسارات الفضائية المغلقة في تراكيبها الشعرية؟
- كيف تتشكل المسارات الفضائية المغلقة في قصائد الوصف والرحلة عند المتنبي بوصفها أبنية تصورية؟
- ما الدلالات العرفانية الكامنة في هذه المسارات، وهل تسهم في بلورة فهم أعمق لعلاقة الشاعر بالكون والوجود؟

تنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها: أن تمثّلات الفضاء والحركة في شعر المتنبي لا تقتصر على التصوير المادي المحسوس، بل تُشكل بنى تصورية عرفانية عميقة تعكس التداخل بين الحركة المكانية والأبعاد الوجودية والذاتية للشاعر، وبناءً على ذلك، يتحدد الهدف الرئيس للبحث في مدى إمكانية توظيف جهاز مفاهيمي لغوي حديث (اللسانيات العرفانية) في استنطاق النص الشعري التراثي، وتفكيك

بنية المعنى الكامنة في قصائد الوصف والرحلة، وصولاً إلى إبراز الإمكانات التأويلية المتجددة للمتنبي؛ من خلال الكشف عن دلالات الإدراك والوجود عبر منوال المسارات الفضائية المغلقة.

2. اللسانيّات العرفانيّة:

1.2 قضايا اللسانيّات العرفانيّة (Cognitive Linguistics):

تُعد اللّسانيات العرفانيّة من أبرز الاتجاهات اللّسانية المعاصرة وأكثرها شمولًا؛ إذ يتأتى ثراؤها من تجاوزها الإطار اللّساني الضيّق إلى حقل واسع من العلوم المعرفيّة المتقاطعة (كالفلسفة وعلم النّفس المعرفي)، مما يتيح لها تقديم حلول تفسيريّة عميقة للظّواهر اللّغوية، ولأن هذا التّداخل المعرفي قد أفضى إلى تعدد مباحثها بشكل يصعب استقصاؤه، فإن البحث سيركّز على الموضوعات الكبرى التي شكّلت نقاط تقاطع ونقاش نظري واسع، وقبل الخوض في هذه المباحث المتخصصة، لا بد من تأطير الإطار النظري العام الذي يشكل مرتكز اشتغال هذه النظرية؛ "حيث تفترض أن هناك وظيفة معيّنة للعقل، ويجب وصف اللّغة فيما يتعلّق بهذه الوظيفة " (Siouffi, 1999, p 62)؛ وعليه تعنى بدراسة طبيعة العمليّات الذهنية المتضمّنة في اكتساب المعارف واللّغة وطرائق استعمالها الفعلي، ويتمحور هدفها الأساسي حول الكشف عن البنية الذّهنية وأوجه انتظامها المعقدة؛ من خلال تحليل الاستراتيجيات العرفانيّة التي يعتمدها الفرد في التّفكير ونمط تخزينه للمعلومات، وآليّة معالجته للغة في عمليّتي الإنتاج والفهم (ينظر: المقدميني، تحرير: الحباشة، ص96)، وتبحث اللسانيات العرفانيّة عن نماذج تمثيلية متكاملة تستكشف القواعد المعرفية، والأفضية الذهنية، والأسس العصبية (Neurocognitive) للغة البشرية، وعليه تركّز جهودها على بناء الأدلّة والمقاييس المعتبرة التي تؤسس للمعرفة اللسانية ضمن إطارها العرفاني (ينظر: جيدور، 2017م، ص306)، ونتيجة لهذا المنظور، يتضح أن التركيز المنهجي الأساسي يكون على الدلالة ومكوناتها العرفانيّة، متجاوزًا بذلك هيمنة التحليل النحوي وحده (ينظر: دحمان نور الدين، 2011-2012م، ص70)؛ انطلاقاً من فرضية أن اللّغة جزء من القدرات الإدراكية الشاملة، وتكمن أهميتها في أنها تجمع معرفتنا بالعالم من خلال التجربة الحسية وتخزنها ذهنياً، مما يدعم قدرة الإنسان على معالجة التجارب الجديدة بكفاءة إدراكية (ينظر: التميمي، 2013، ص11)؛ لذلك يعتقد أصحابها "أن دراسة اللّغة غير قابلة للانفصال عن دراسة المعنى" (مجدوب، 2012م، ص373)؛ كون هذا الأخير "بنية مرمّزة في الذهن البشري، ومن ثمة فإن المعلومات التي تحملها اللّغة مصوغة بالطريقة التي ينظم بها الذهن التجربة" (غاليم، 2011،ص52)؛ وعليه تُمثّل هذه النقاط نظرة تركيبية للقضايا والمقاربات التي تشكّل الوجهة الجامعة لأغلب نظريات اللسانيات العرفانيّة، وبالتالي تتفق النظريات العرفانيّة على مجموعة من الخصائص المنهجية الجوهرية، أبرزها:

أ- **رفض الشكلنة:** عدم التسليم بالمقاربات الشكلية (Formalism) في الوصف والتحليل اللساني.

ب- **الترابط الذهني:** رفض عدّ اللّغة مكونًا مستقلاً بذاته، وعدّها جزءًا لا يتجزأ من سائر المكونات الذهنية.

ج- **محورية الدلالة:** العناية الشاملة بالدلالة في جميع مظاهرها، وعدّها جزءًا أصيلاً من التصورات العرفانيّة العامة.

وبما أن دراستنا ترتكز على تشكّل المسارات الفضائيّة، فإننا سنعتمد على علم الدلالة العرفاني (Cognitive Semantics) تحديدًا، لكونه المجال المنهجي الأنسب الذي يندرج ضمنه هذا الموضوع ويوفّر آليّات تحليله؛ حيث يهدف إلى البحث في المجال المعرفي والتصوّري للعقل البشري، تحديداً في كيفية تفاعله مع العالم الخارجي والمُدركات المحيطة به، وبصورة أدق، يركز على دراسة التمثيلات الذهنية والصَّيرورات العرفانيّة التي تنظم تعامل الإنسان مع واقعه (ينظر: غاليم، 2011، ص54)، كما يهتم ببلورة أنموذج عام يحاول مقاربة كيفية حصول المعاني وما يحفّزها؛ انطلاقا من خصوصيات الإدراك البشري وعوامل التجربة التي تفعّل فيه؛ أي أنه يبحث في العلاقة بين التجربة والنسق الصوري والبنية الدلالية التي ترمزها اللّغة، إنه يدرس إجمالا التّفكير البشري، ولهذا يعدّ علم الدلالة العرفاني المعنى اللغوي تجليا للبنية التصورية؛ أي طبيعة التمثيل الذهني بغناه وتنوعه (ينظر: العامري، 2018م، ص29-30)، وسنتطرق في المبحث الموالي إلى أحد أهم مباحثه، ألا وهي المسارات الفضائيّة.

3. المسارات الفضائيّة:

1.3 الفضاء:

يُعدّ تحديد ماهية الفضاء وإيجاد تعريف دقيق له مهمةً عسيرة، ويعزى ذلك إلى تداخله مع مفاهيم قريبة مثل المكان والحيّز من ناحية، وتعدديته عبر حقول معرفية متباينة من ناحية أخرى، في هذا الإطار تسعى الدراسة إلى استعراض المفهوم الأقرب إلى مجالها البحثي، في محاولة لتحديد المفهوم ضمن إطاراته التخصصية، و "قد اشتق الفرنسيّون والإنجليز مصطلحي (Espace) و(Space) من لفظة (Spatuim) اللّاتينية التي تعني في الأصل الامتداد، واللامحدود الذي يحوي كل الامتدادات الجزئية المحددة"

(زوزو، 2010م، ص2)، ويعرّف مصطلح "الفضاء" في المعاجم الغربيّة بأنّه "المكان الذي يحتوي على أجساد؛ فهو بمثابة وعاء عالمي غير محدّد يتكفّل بترتيب الأشياء المتعايشة"

dictionnaire de la langue française, page 187.

أما اصطلاحا فيعرّفه عثمان صادق شريحة بأنّه: معنى تمثيلي بالأساس؛ أي أنّه محصّلة خبرتنا في إدراك الأشياء والعلاقات القائمة بينها، إذ لا يمكننا إدراك هذه الأشياء دون تنزيلها في فضاء ما؛ فلا يمكن تصور أي كيان – كشجرة مثلًا – بمعزل عن الفضاء المحيط به؛ فالتلفظ باسمه يستدعي مباشرة الوعي بفضاء يحتويه، هذه العملية التصورية ليست مجرد إسقاط ذهني على العالم، بل تنبع من العالم المادي نفسه، حيث يستقي الذهن مكونات تصوره للفضاء من المعطيات الفيزيائية المحسوسة، والفضاء في أصله كينونة متصلة غير مجزأة، فتأتي اللّغة لتقوم بتقسيمه عبر ربطها بين الحدث والفاعل والمكان، وبذلك، تؤدي اللّغة دور الوسيط الناقل للعلاقات المكانية بين الأشياء من وجودها الموضوعي إلى حيز إدراكنا الذاتي (ينظر: شريحة، 2011م، ص 45-46-47)،" ففي قولنا "أحمد خلف الشجرة" نميّز بين مستويين: يتحدّد في أوّلهما وجود أحمد والشّجرة في العالم الموضوعي، ونفرض في ثانيهما علاقة فضائيّة بينهما؛ فالتّفضية تحقّقت بتجريد العلاقة بين هذين الموضوعين الفضائيّين، وتتحدّد في عمليّة موقعة أحمد أهمّيّة التّأويل الذي مارسناه على العالم الموضوعي؛ فتأويلنا لما نراه هو المسؤول عن انتقاء "خلف" بدل "أمام" أو "فوق" أو "تحت"، واللّغة هي التي تقوم بالموقعة والأمكنة" (شريحة، 2011م ، ص46)؛ وعليه يؤكد مفهوم الفضاء على دوره التأسيسي الذي يتجاوز تمثيل العالم المادي، ليشمل بناء حقول مفاهيمية مجردة وغير مادية (ينظر: جحفة، 2000، ص115)؛ أي استعارية، وتخضع كل استعارة لعمليات تحويلية وإسقاطية متتالية، مما يؤدي إلى ابتعادها التدريجي عن أصلها التجريبي المادي، فتتحول إلى كيان مفاهيمي مستقل (ينظر: جحفة، 2018م، ص154)؛ فالفضاء يجوز أن يكون صوريّا، مثل قولنا: "أحمد في حيرة من أمره"، حيث جعلنا "حيرة" فضاء يستوعب "أحمد"، واستمدّ هذه القدرة من خصائص التّوظيف المجازي الذي خضع له (ينظر: شريحة، 2011م، ص47)، وعليه "تُظهر اللغات دورًا محوريًا في ضبط الخبرات الإنسانية وصياغة القيود التجريبية لبناء المرجع الفضائي؛ وبذلك لا يُعدّ المفهوم الفضائي في اللّغة بدائيًا، بل هو نتاج بناء معرفي قائم على تفاعلنا المباشر مع العالم" (Hickmann And Robert, 2006, p 01)، هذا ويبرز الفضاء بشكل رمزي أو ضمني حتى في غياب تصوره المباشر، إذ غالبًا ما تُستخدم أدواته اللغوية (كالمجاز والاستعارة) للتعبير عن مفاهيم أخرى، نتيجة لما تتسم به من مرونة وقابلية عالية للتشغيل، وإذا كان علينا أن نستعير تعبيرا لغابريل مارسيل (Gabriel Marcel) سنقول إنّ الإنسان غير منفصل عن فضائه، بل إنه هذا الفضاء ذاته (ينظر: نجمي، 2000، ص40)، حيث يُشكل الفضاء وعاءً يختزل خلاصة التفاعل الاجتماعي البشري الذي يحمل في طياته شحنة من العواطف والمواقف والأفكار التي تخص الأفراد المنتمين إليه (ينظر: كاظم، 2019، ص532)، ومن هذا المنطلق شهد هذا المجال اهتمامًا نوعيًا ضمن اللسانيات العرفانيّة؛ لكونه مدخلًا أساسيًا لفهم الإدراك البشري وبناء تمثيلات الذات في الواقع، وقد أفرزت هذه الدراسات تكاملًا معرفيًا بين تخصصات عدّة (كالفلسفة واللسانيات والفيزياء)، وتتولّد التّجربة الفضائيّة

للذّات من التّقاطع بين الحركة المتحولة باستمرار والمكان الذي يتطلب تفاعلًا ذهنيًّا يتجاوز حدوده الهندسيّة والفيزيائية (ينظر: أحمد العاقد، 2015)، كما يعد الفضاء أحد المتطلبات الأساسية لكل المحاور المتنقلة من منطقة إلى أخرى، ولا شك في أنه يؤدّي دورًا مركزيًا في الفكر والاستدلال البشري في الواقع (Voir: Levinson, Wilkins, 2006, p01)، وهذا ما يسوّغ استخدام العبارت والاستعارات الفضائيّة أكثر من غيرها في مختلف اللغات.

2.3 المسارات الفضائيّة:

1.2.3 مفهوم المسارات الفضائيّة:

إن من أهم خصائص اللغات الطبيعية إحالتها على المسارات، "والمسار (Path) هو الموضوع الذي يتحرك عبره موضوع ما" (العامري، 2015، ص148)، وهو "بنية مكوّنة من عدّة عناصر تتفاعل فيما بينها لتفعيل وظيفة المسار في بنية الفضاء العامّة" (بوشعيب، 2011، ص271) ؛ ويتم تحديد البنية الكلية للمسار وفق خطاطة: مصدر-مسار-هدف؛ فلكل مسار نقطة انطلاق تصوّرية وهدف معيّن، ويشتمل المسار على نقاط ربط تُعرف بالمسلك ؛ حيث تقطعها الذات، ونظرًا للطبيعة الهادفة للحركة البشرية، يميل الإنسان إلى تحديد الاتجاه في هذا المسار الذي يربط بين النقطة "أ" والنقطة "ب" (ينظر: العامري، 2019، ص 224- 225)، وفي رأينا من الممكن تعميم هذا الحكم على غالبيّة الأشياء والذّوات التي تشكّل محور المسار، والمسار يدرك عن طريق التجربة الذاتية مع الأشياء من خلال ممارسة بعض المهام في الحياة اليومية، والاحتكاك اليومي مع المحيط، بل هو تصور ينمو معنا وننمو معه (ينظر: العامري، 2019، ص210)، حيث يخوض الإنسان مسارات فضائية فيزيائية في حياته اليومية (كالانتقال)، وفي الوقت نفسه تحتل المسارات الاستعارية مكانة بارزة في استعمالاته، نتيجة لاعتماده الكبير على الاستعارة، "حيث يتم بناء المسار الاستعاري عن طريق ما يسمى بالإسقاط التصوري (Conceptual projection)" (العامري، 2019، ص209)، ويتميز الثراء اللغوي للعربية بقدرته على التعبير عن كافة أنواع المسارات، متعديًا المسارات الفيزيائية ليشمل المسارات الاستعارية المُسقطة من عالم التفاعل الخارجي.

4. المسارات الفضائيّة الاستعاريّة:

1.4 مفهوم الاستعارة الفضائيّة:

يُطلق على الاستعارة الفضائيّة في مجال اللّسانيّات العرفانيّة مصطلح "الاستعارة الاتجاهية" لتعلقها بالاتجاهات (فوق/تحت...)، وتُكسِب هذه الاستعارات التصورات اتجاهًا غير اعتباطي يستمد قيمته من تجاربنا المعرفية السابقة (كالسعادة في القمة)، وهي بذلك تربط بين الأشياء المادية والمفاهيم المعنوية

لتصبح مفهومة؛ إذ لا يمكن للاستعارة أن تسعف في الفهم دون أساس تجريبي متين[1] (ينظر: عطية ، د ت، ص50)، وتُشكِّل الاستعاراتُ الفضائيّة الهيكلَ التنظيميَّ لأغلب تصوُّراتنا الذهنية، حيث تسهم أدوات المسار اللغوية بشكلٍ فاعل في تشكيل وإبراز هذه التصوُّرات من خلال تجسيدها لبنية المسار؛ فلكل استعارة مكانية طابعها المميز ومسارها الخاص، كما يتجلَّى في الاستعارة التصاعدية مثل "تجاوزت كل التوقعات"، والتي تمثِّل مساراً صاعداً، فيما تعكس استعارة "انهارت آماله" مساراً تنازلياً معاكساً، مما يُبرز تنوُّع الأنماط المسارية في صياغة تجاربنا المجرَّدة.

5. قصائد الوصف والرّحلة في ديوان المتنبّي: آفاق التّخييل الكوني وتأسيس بنية المسار:

1.5 ماهية الوصف وحدود تمثّلاته في قصائد المتنبّي:

ينطلق مفهوم الوصف لغةً من الحلية والتّحلية، إذ يُعرّف بأنه ذكر الشيء بصفاته اللازمة (ينظر: ابن منظور، 1994، ص 356. وابن فارس، 1979، مادة (وصف)، ص 115)، أما اصطلاحاً، فإن البلاغيين العرب لم يتطرقوا للوصف قبل القرن الثالث للهجرة، على الرغم من أنهم مارسوه شعراً ونثراً منذ العصر الجاهلي (ينظر: قفصي فوزية، 2013، ص 156)، وفي هذا الصدد يقدّم قدامة بن جعفر تعريفاً شاملاً له في كتابه "نقد الشعر"؛ حيث يقول: "الوصف إنما هو ذكر الشيء كما هو عليه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم بأظهرها فيه وأولاها، حتى يحكيه بشعره (ينظر: قدامة بن جعفر: تحقيق كمال مصطفى، 1998، ص 62)، وقد عكس الوصف عند العرب الصورة الحقيقية للأشياء، وكان حضوره في الشعر أقوى منه في النثر، والوصف الجيد هو الذي يرتكز على أهم جوانب الشيء الموصوف، محولاً صورته المادية المألوفة إلى نسيج أدبي وفني متين (ينظر: مرتاض، 1998، ص285)، ويبرز شعر الرّحلة كونه أحد أكثر الأجناس الشعرية التي اعتنت بوصف الأماكن والأشخاص والعادات، متوخياً نقل الحقيقة والدقة في التصوير (ينظر: قفصي، 2013، ص157)، ويشكل الإطار النظري للوصف، الذي يركز على الدقة في التصوير والإخلاص في نقل الحقيقة كما يتجلى في شعر الرّحلة، أساساً منهجياً لا غنى عنه لتحليل تمثيلات المسارات الفضائيّة "مغلقة النمط" في شعر المتنبّي؛ فعلى المستوى الحسي المباشر، تتجلى هذه المسارات من خلال وصف الشاعر للظّواهر المدركة بالعين؛ حيث يسعى المتنبّي إلى تقليد حركتها المنتظمة والدورانية، متبعاً في ذلك دقةً في الوصف، أما على المستوى الرمزي المتخيل، فإن وظيفة الوصف

[1] - فالاستعارات الفضائية التصورية تؤسسها التجربة البشرية، ويتضمن الأساس التجريبي للاستعارة، هذه الارتكازية على التجربة، والتجارب التي تتأسس عليها الاستعارات التصورية يمكن أن تكون جسدية، ولكن ليس هذا فقط، وإنما قد تكون إدراكية، ومعرفية، وبيولوجية، أو ثقافية أيضا (ينظر: العامري، 2016، ص 148)

تنتقل إلى آفاق أرحب، حيث يعمد الشاعر إلى تفكيك الصورة الحسية للمسار الفضائي، وإعادة تشكيلها كدلالة استعارية تعكس تصور المتنبّي للحدود الكونية والنفسية، محولاً بذلك المسار الفلكي إلى أداة فنية لتجسيد المطلق داخل بناء لفظي دائري مغلق.

2.5 مفهوم الرّحلة بين الدلالة اللغوية والأفق الشعري في ديوان المتنبّي:

اجتهد الدارسون في تعريف الرّحلة، فتعددت آراؤهم وتشعبت مناهجهم في ذلك؛ فمن المنظور اللغوي، إذا ما تتبعنا لفظة "الرّحلة" في أمهات المعاجم العربية، تتجلى لنا دلالات متعددة؛ حيث يرى ابن منظور أن أصل الكلمة من "رَحَل"، ومن مشتقاتها: الراحِل (المركب للبعير)، والرجل المُرَحَّل (أي له رِحال كثيرة) (ينظر: ابن منظور ، مادة (رحل) ، 1994، ص279)، كما تشير الرّحلة إلى الانتقال من مكان إلى آخر سعياً لتحقيق غاية محددة، مادية كانت تلك الغاية أم معنوية، والحركة خلال الرّحلة بقطع المسافات فهي "السَّفَر" وجمعها "أسفار" (ينظر: الصعيدي: 1996، ص 15)، أما اصطلاحاً، فقد ارتبط مفهوم الرّحلة بالإنسان منذ بدء الخلق، بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام بالهبوط إلى الأرض ليعمرها، ويعرفها الإمام الغزالي بأنها "نوع من الحركة والمخالطة، فيها تعب ومشقة وأخطار، وهي وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه، أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه" (الغزالي، د ت، ص217)؛ فهي تعبر عن رغبة كامنة في التغيير الذاتي، تنمو موازية للحاجة إلى اكتساب تجارب شخصية بشكل يفوق مجرد التعبير عن انتقال مكاني (ينظر: نادية محمد عبد الله، 1983، ص 97)، ولما كانت حياة العرب في الأزمنة الغابرة قاسية وقائمة على التنقل والترحال، فإن تلك الظروف الصعبة التي عاشوها دفعتهم إلى الانتقال من مكان إلى آخر، حتى غدا الترحال سجية متأصلة وظاهرة طبيعية في حياتهم اليومية؛ فبادروا إلى مجابهة الطبيعة والتأقلم معها ضماناً للبقاء، وقد اتسمت حياتهم بعدم الاستقرار والاضطراب، وخلت من السكينة والطمأنينة، نتيجة ترحالهم الدائم وتنقلهم في أصقاع الأرض حاملين على أكتافهم عصا الترحال، حيث تمتعوا بالقدرة الجسدية والمعنوية على تحمل المشقات والمصاعب الجسيمة، وكذلك على مواجهة المجهول بما ينطوي عليه من أخطار ومخاوف (ينظر: الصافي، 2020، ص 320)، ويؤسس هذا التحليل للرحلة على جذورها اللغوية والاصطلاحية العميقة، ليرتقي بها من مفهومها المادي البسيط إلى نموذج إدراكي متكامل، ويتجلى هذا التطور في شعر المتنبّي الذي مزج بين مسارين: رحلات جغرافية حقيقية؛ وصف فيها تنقله بين البلدان، ورحلات استعارية؛ جسدت سعيه نحو المجد والمعنى، وقد مثلت هذه المسارات المزدوجة نسيجاً وجودياً احتوى التعب الجسدي والسمو الروحي معاً، ومن هذا المنطلق، يربط التحليل بشكلٍ مبتكر بين تجسيد المتنبّي للرحلة، وأطرها النظرية في اللسانيات العرفانيّة، حيث تُفهم المفاهيم المجردة من خلال استعارة "المسار الفضائي"؛ وبذلك ينجح النص في نسج خيط متصل يربط الأصالة اللغوية والأدبية بالآفاق المعاصرة للعلوم المعرفية، مبرزا كيف أن الرّحلة الواقعية كانت نواة للتجريد العرفاني.

3.5 من الرّحلة المادية إلى المسار العرفاني: تشكّل الفضاء في شعر المتنبّي[2]:

يُمثِّل النص الشعري للمتنبي حقلًا خصبًا للدراسات اللسانية الحديثة والقديمة على حدٍّ سواء؛ فالشاعر العباسي أبو الطيّب المتنبّي، الذي عاش في العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية، قد خلّف ديواناً حافلاً يشتمل على طائفة واسعة من الأغراض الشعرية التي عبّر عنها بلسان فصيح وملكة متميزة، وقد تنوّعت هذه الأغراض في مقطوعاته وقصائده، بما فيها فنّا الوصف والرّحلة، اللذان حظيا باهتمام بالغ من الباحثين والنقاد، كما حافظ المتنبّي على مكانته البارزة عبر العصور، وظلّ صيته متداولاً في الأوساط الأدبية والثقافية (العيساوي، د ت، ص121، بتصرف)، وعليه فدراسة المسارات الفضائيّة في قصائد الوصف والرّحلة لدى المتنبّي يعكس فهماً متطوراً لهذين الغرضين، لا بصفتهما موضوعين أدبيين فحسب، بل بوصفهما تعبيراً عن بنية إدراكية فضائية؛ فغرض الرّحلة يمثل المسار الحركي الزمني الذي تتخذه الذات الشاعرة، بينما يعمل الوصف على تشييد الفضاء المحيط بهذا المسار وتحديد معالمه، ممّا يمكّننا من الربط بين المنظور التراثي لشعر المتنبّي وأطر التحليل العرفاني الحديثة، مما يضفي على الدراسة عمقاً نظرياً وأصالة منهجية.

6. أنماط المسارات في اللّغة العربيّة:

تتمثّل إحدى الوظائف الجوهريّة للّغة في التّعبير عن كينونات الوجود، حيث يطمح العقل البشري إلى استيعاب العالم المحيط، الذي يُشكِّل فضاءً وجودياً تقوم العبارات الفضائيّة في اللّغة بتأويله وتحليله (ينظر: جحفة، 2000، ص 115)، وتتميّز هذه العبارات في اللّغات الطبيعيّة بقدرتها على الإحالة إلى المواقع والمسارات؛ ففي اللّغة العربيّة، تبرز حروف مثل "في" و"على" لهذا الغرض، حيث ترد ضمن تراكيب اسمية تحدد موضع الإشارة، كالقول: "تحت الشجرة" أو "خلف الباب"، وتتسم بنية المواقع بأنها تحصر المكان في نطاق نقطي أو منطقة محددة تستقر فيها الأشياء، في المقابل تتصف بنية المسارات بتعقيد أكبر وتنوع أوسع في أدوارها، مما يمكنها من التعبير عن أحداث وحالات ديناميكية متعددة (ينظر: غاليم، 2011، ص 265-266-267)، وترتكز المسارات الفضائيّة على ما يسمى بأفعال الحركة، التي تتحدد باعتبارها أفعالا تصف حركة ذات في علاقتها بالمسار الذي يحدد بكونه مسافة محصورة بين نقطتين: نقطة البداية وتترجم على أنها المصدر(Source)، ونقطة نهاية، وتمثل هدف(Goal) الذات المتحركة مع مسار ممتد بينهما (ينظر: اغليمو، 2015م، ص 12)، فلا تتم المسارات إلا "بممارسة الحركة بين موقع الصدور وموقع

---

[2] - وُلد أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي في الكوفة، في محلة تُعرف بـ"كندة"، وكان شاعراً مُفْلِقاً، شديد العارضة، راجح العقل، عظيم الذكاء. قدم الشام في صباه واشتغل بفنون الأدب، والتقى خلال رحلته العديد من أئمة العلم، فتخرَّج عليهم وأخذ عنهم، وكان من المطلعين على أبواب اللغة وشواردها، حتى إنه لم يُسأل عن شيء إلا واستشهد بكلام العرب من نظمٍ ونثر. (303–354هـ / 915–965م) (ديوان المتنبي، 1983م، ص 5).

الإفضاء (ينظر: شريحة، 2011، ص 174)، ويعد الاتجاه عنصرا أساسيا في هذه العملية، إذ يساعدنا في تحديد نوع الحركات والتمييز بينها (ينظر: اغليمو، 2015م ، ص12)، كما تتطلب الوضعيات المسارية استعمال محمولات تتضمن نوعا من الإزاحة في عنصر المحور، حيث تؤدي هذه الإزاحة تغييرا في المكان (ينظر: العامري، 2015، ص 149)؛ أي الانتقال من مصدر إلى هدف أو محلّ، وهذا الأخير يكون إما مكانا أو ذات (ينظر: بوشعيب، 2011، ص 129)، وقد حدد تالمي (Talmi) أربعة مكونات دلالية أساسية لحدث الحركة (Motion Event) يتم التعبير عنها في أي لغة:

- **حدث الحركة (Motion Situation):** هو وضع الحركة بحد ذاته الذي يمثل الانتقال عبر المسار (مثل: "خرج").

- **المحور (Figure):** الوحدة (الذات) التي تستند إليها الحركة، وتكون اسمًا.

- **الأرضية (Ground):** الوحدة المرجعية (كالمصدر أو الهدف) التي ينتمي إليها المحور، وتكون اسمًا.

- **المسار (Path):** الدالة التصورية التي تحدد كيفية تحرك الموضوع (العامري، 2019، ص 112، بتصرف، وينظر أيضا: talmy, 2000, p 25) مثل: (إلى)، ومثال ذلك: ذهب زيد إلى المدرسة، حيث تأخذ الجملة هذا الشكل:

الجدول 01: التمثيل الدّلالي والمجالي لحدث الحركة

ذهب	زيد	إلى	المدرسة
حدث الحركة	محور	دالة تصوّريّة	أرضيّة

العامري، 2019، ص113، بتصرّف.

وقد أضاف **غروبر (Gruber)** بعض الأدوار الدلالية لمكوّنات المسار كالآتي:

أ- **المحل:** الموضوع الدال على الموقع.

ب- **المصدر:** نقطة انطلاق المحور.

ج- **الهدف:** نقطة استقرار المحور.

د- **المنفّذ:** الموضوع الذي يأمر بتحرك المحور (كالفعل "أسرى").

هـ - الأداة: الدالة التصورية لكيفية تحرك المحور (بوشعيب، ص 284، بتصرف)، مثل: إلى، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدّالّة التصوريّة قد لا تأتي أحيانا بارزة في التركيب، بل تنصهر في الحدث الحركي،

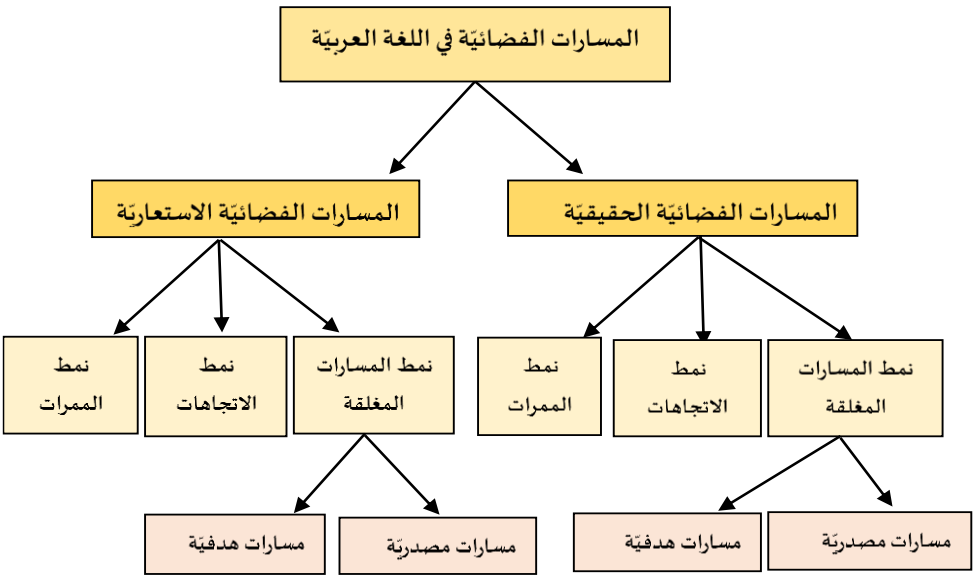
مثل: دخل زيد الدار، فالدالة التصوريّة هنا (إلى) تم إدماجها في حدث الحركة (دخل).. (ينظر: العامري، 2019، ص 103-104)

تحكم هذه العناصر الأساسية كلاً من المسارات الحقيقية والاستعارية، ورغم تباين الآراء حول تحديد مكونات المسار الفضائي، سيتم مزج نموذجي "تالمي" و"غروبر" لضمان الإحاطة بمكونات المسار في الشعر العربي القديم، ويجب التنويه إلى أن غياب بعض المكونات (كالمنفذ، أو المصدر في المسارات الهدفية) أمر متوقع ويخضع للسياق ونمط المسار.

7. المسارات الفضائيّة في قصائد الوصف والرّحلة للمتنبي – نماذج مختارة -:

مما لا شك فيه أن اللّغة العربية من أكثر اللغات سعة ودقة في التعبير عن الأفضية الكونية، وأكثر ما يجلّي هذه الصفة هما: الفضاء والمسار التصوريين (ينظر: العامري، 2019، ص 268)، وينبغي التنويه إلى أن هناك فرقا بين "الانتقال الحقيقي المتعين في العالم الموضوعي، أو بالأحرى القابل للتحقيق من خلال التجربة الواقعية، والانتقال المجازي الناشئ عن تجريد العلاقات الموضوعية" (شريحة، 2011، ص174)، وقد تضمّن شعر الوصف والرّحلة عند المتنبّي كلاهما، وسنتطرق إلى المسارات المغلقة الحقيقيّة بشكل خاص، مشيرين إلى بعض النماذج المساريّة الاستعاريّة منه، لكثافة مادّة البحث في المسارات الحقيقيّة المغلقة وتنوّع النماذج الواردة فيها، "وبالنظر إلى علاقة المسار بموضوع الإحالة أو المكان، يمكن تمييز ثلاثة أنماط من المسارات (ينظر: غاليم، 2011، ص268)، تندرج تحت كل منها أنماط فرعية، ويمكن إيجازها بنوعيها (الحقيقي و الاستعاري) في المخطّط الآتي:

الشّكل 01: أنماط المسارات الفضائيّة



غاليم، 2011، بتصرّف

1.7 نمط المسارات المغلقة: يُعدّ المسار المغلق النمط الأول والأكثر غنى للمسارات الفضائيّة في اللّغة العربية، وينقسم إلى مسارات مصدرية وهدفية، وسُمّي "مغلقًا" لاكتفاء الجمل فيه بوحدة دلالية واحدة من أفعال المسار، إما الأداة الدالة على ابتداء الغاية (من) لإفادة الدلالة المصدرية، أو الأدوات الدالة على انتهاء الغاية (إلى/حتى) لإفادة الدلالة الهدفية دون الإشارة إلى الطرف الآخر (ينظر: غاليم، 2011، ص 275)، وتشكّل طبيعة موضوع الإحالة معلما أساسيّا يؤدّي دوراً محورياً في تحديد نمط المسار الفضائي وتمييزه بخصائص نوعية، وفي الإطار المنهجي لهذا البحث يتم اعتماد دراسة المسارات المغلقة من خلال تحليل كل فئة على حدة، بداية بالمسارات المصدرية (Source Paths) ثم المسارات الهدفية (Goal Paths)، مع التركيز على النّمط الأوّل.

1.1.7 المسارات المصدريّة: يطلق على هذا النمط بالمصدري؛ لأنه يكتفي بتعيين مصدر انطلاق المحور (موضوع الإحالة) داخل بنية المسار دون تحديد هدفه (ينظر: غاليم، ص 275)، حيث يصف لنا مسارا مغلقا باستعمال الدالة القاعدية(من) (ينظر: العامري، 2019، ص 145) ؛ "التي تفيد معنى ابتداء الغاية" (غاليم، 2011، ص275) المكانيّة أو الزمنيّة، وحتى إن ذكر اللغويّون معان أخرى لها، فإن "سائر المعاني التي ذكروها راجع إلى هذا المعنى" (شريحة، 2011، ص 185)، أما عن مصدر انطلاق المحور، فمن الممكن أن يكون مكانا (كالبيت)، أو ذات (جاء من عند فلان) (ينظر: غاليم،2011، ص 276)، ويرد في أحيان أخرى مصدرا زمنيّا...

1.1.1.7 نمط المسارات المصدريّة الاتجاهيّة: يُعد نمط المسارات المصدريّة الاتجاهيّة من أكثر الأنماط شيوعًا في اللغات، ويتميز باستعمال الدالة القاعدية (من) للدلالة على المصدر، حيث يختلف الاتجاه الفضائي فيه بناءً على طبيعة انطلاق الحركة نحو وجهة معينة (ينظر: العامري، 2019، ص 151)؛ أي في اتجاه فضائي ما، وقد تكون المسارات المصدريّة الاتجاهية مفتوحة[3] كما في هذين المثالين:

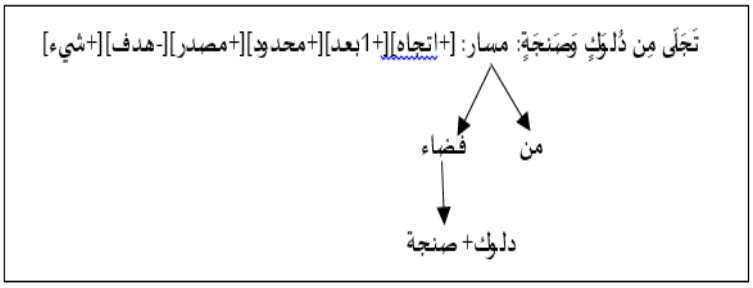
أ- فَلَمّا تَجَلّى مِن دلوكٍ وَصَنجَةٍ عَلَت كُلَّ طَودٍ رايَةُ رَعيلِ (المتنبي، 1983م، عنوان القصيدة: كل عزيز للأمير ذليل، ص 356)

ب- إذا أتتها الرياح النُّكْب من بلدٍ فما تهب بها إلا بترتيبِ (المتنبي، 1983، عنوان القصيدة: الملك الأستاذ، ص 450)

[3] - وهي صنف من المسارات المصدريّة، التي تصف لنا المسار الخارجي الذي يسلكه المحور؛ أي أن حركة هذا الأخير تنطلق من فضاء مفتوح،(ينظر: العامري، 2019، ص153)

وسنكتفي بتحليل المثال الأول ليتضح لنا المسار الفضائي بدقّة، وهو بيت من قصيدة يمدح فيها المتنبّي "سيف الدولة الحمداني"، ويصف خروج جيشه للنصر، ونكتفي هنا بعرض الجزء المتضمّن للمسار الفضائي في هذا البيت الشّعري؛ حيث يمكن تفكيك الإطار العام لهذا المسار وسماته على النّحو الآتي:

الشكل 02: تحليل المسار الفضائي في البيت الشّعري:



المصدر: من إعداد الباحثة

- **حدث الحركة:** تَجَلّى؛ أي (ظهر/كُشف عنه)، ويدل على حركة خروج وانكشاف.
- **المحور:** هو فاعل "تَجَلّى" والمحذوف للعلم به، ويُقصد به الجيش أو الممدوح (سيف الدولة).
- **الدالة التّصوّريّة:** مِنْ؛ وهو حرف الجر الدال على ابتداء الغاية المكانية.
- **المصدر:** دلوك وَصَنجَة، وهما جبلان/موقعان جغرافيان في المنطقة التي كان يتمركز فيها الجيش.

- **تحليل الدلالات العرفانيّة في المسار الفضائي:** يتطابق هذا البيت مع نمط المسارات المصدريّة الاتجاهيّة؛ لأنه يحدد مصدر انطلاق المحور بدقة (الجبلين)، بينما يترك الهدف (إلى أين اتجه الجيش بالضبط) مضمراً أو غير محدد ببنية "إلى" أو "نحو" في نفس الجملة، إن هذا التحديد الجغرافي الدقيق للمصدر يخدم وظيفة النمط، حيث يجعل انطلاق الحركة (الجيش) مُقيَّداً بموقع مكاني، أما الهدف فغير محدد صراحة في التركيب الذي يضم الدالة "مِنْ"؛ فعبارة "تَجَلّى مِن..." اكتفت بالإشارة إلى منطلق الحركة، في حين أنّ الشطر الثاني "عَلَت كُلَّ طَودٍ رايَةُ رَعيلِ" هو نتيجة هذه الحركة واتجاهها العام نحو الانتصار والعلو، وليس تحديداً لغاية مكانية محددة، أما حدث الحركة الذي تمثل في الفعل "تَجَلّى"، الذي يحمل دلالة الظهور والكشف بعد الحجب، وهي حركة ذات دلالة مكانية ومعنوية قوية؛ فخروج الجيش ليس مجرد سير، بل هو ظهور مجيد كالشمس، وهذا الفعل كغيره من أفعال الحركة، يدل على أن المحور (الجيش) كان عارِفاً بمكان ذهابه، حتى وإن أُضمر هذا المكان.

يُوظّف المتنبّي هذا النمط لتحقيق المبالغة في المدح، فجعل انطلاق الجيش من مكانين جغرافيين (دلوك وصنجة) بمنزلة انفجار أو انبعاث مهيب، لا مجرد حركة سير عادية، أما الربط بين المصدر والعلو المطلق

فيرفع من قيمة الانطلاق ذاته، ويؤكد أن الانطلاق من هذا المصدر يعني حتماً تحقيق النصر والسيادة على كل مرتفع (كل طود).

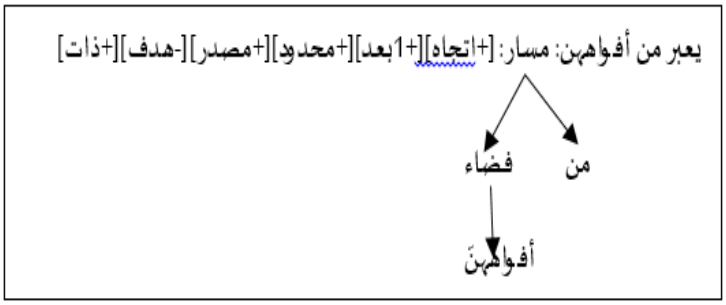
إنّ النمط المصدري هنا قام بوظيفة التفضية؛ حيث فضّل وعيّن مصدر انطلاق المحور بدقة، وجعل هذا المصدر هو مفتاح الدلالة لعظمة الحركة التي تليه.

2.1.1.7 المسارات المصدريّة المحدودة: يُعدّ هذا النمط من أكثر الأنماط شيوعًا في اللغات، ويتميز باستعمال الدالة القاعدية (من) للدلالة على المصدر المغلق؛ حيث يُجسِّد الانزياحَ من حيز الاحتجاز والإعداد إلى فضاء الفعل والإنجاز، ويختلف الاتجاه الفضائي فيه بناءً على طبيعة انطلاق الحركة نحو وجهة معينة (العامري، 2019، ص153، بتصرّف)، ومن النماذج التي تعكس هذه النمط في قصائد المتنبّي قوله في قصيدته " الهدى ذا، فما المهدي ":

"يمرّ من السمِّ الوَحِي بعاجزٍ ويعبر من أفواههنَّ على دَرْدِ" (المتنبّي، 1983، ص534)

حيث يعالج هذا البيت ظاهرة حركية فريدة تنضوي تحت مفهوم المسارات المصدريّة المحدودة؛ إذ ينطلق المحور (الكيان المتحرك) من فضاء داخلي مغلق ومحدد، ليشق طريقه نحو الخارج، ويمكن توضيح الإطار العام للمسار وسماته كالآتي:

الشكل 03: تحليل المسار الفضائي في البيت الشّعري



المصدر: من إعداد الباحثة

- **حدث الحركة:** يعبر؛ ويدلّ حدث الحركة هنا على انتقال المحور وانفصاله عن المصدر.
- **المحور:** السَّم.
- **الدالة التصورية:** من، ويشير إلى الانطلاق والتّفضية من داخل المصدر
- **المصدر(الفضاء المغلق):** أفواههنّ (المفهوم الضمني: الفم/اللسان)

- **تحليل الدلالات العرفانيّة في المسار الفضائي:** تنقسم الحركة في البيت إلى مسارين متكاملين، وكلاهما يعكسان فكرة المسار المصدري الداخلي المغلق، أما المسار الأول: (يمر من السَّم الوحي بعاجز)فيصف

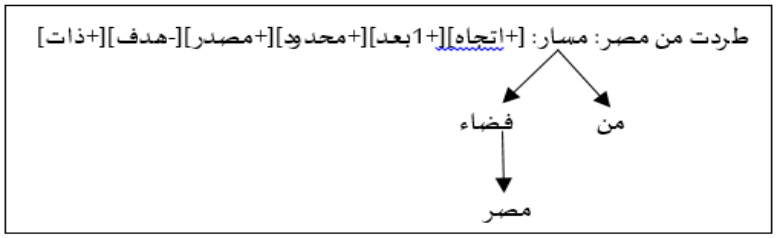
مسارا استعاريا لا يندرج ضمن النوع الذي نحن بصدد تحليله، وعليه سنركّز على المسار الثاني: (ويعبر من أفواههنّ على دَرْدِ)، حيث يمثل حدث الحركة "يعبر "؛ وهو فعل يقتضي اجتياز مسلك أو معبر، والمحور هنا هو الكلام أو القول، كما يتضح من المصدر المغلق "أفواههنّ"، وهو فضاء مصدري محدود ومغلق، حيث يُعَدّ الفم حجماً يحتوي اللّسان والأسنان والصوت، في حين تؤكّد الدالة (من) الانطلاق من داخل هذا الحيز المحدود، وقد زاد الشاعر في تحديد ضيق هذا المسار بذكر "على دَرْدِ" (وهو ذهاب الأسنان)، مما يشير إلى أن الكلمة تخرج من فم ليس كاملاً، وهذا يضفي دلالة على قوة العبارة أو خروجها المفاجئ رغم عيوب مخرجها (العبور من الأفواه ذات الدرد)، وهذا التحليل يطابق سمات المسارات المصدريّة المغلقة حيث يكون الانطلاق من أفضية داخلية محدودة.

3.1.1.7 المسارات المصدريّة غير المحدودة: يُعدّ هذا النمط فرعًا من المسارات المصدريّة، يصف مسافة يقطعها المحور انطلاقًا من نقطة مصدرية محددة باتجاه وجهة غير محددة مفتوحة (ينظر: العامري، 2019، ص 152)، وسنختار بيتاً للمتنبي يصف الحركة غير المتوقفة في سياق الوصف أو المعركة (التي تُعدّ جزءاً من قصائد الوصف والرّحلة عنده) حيث يقول فيه:

"طردت من مصر أيديها بأرجلها حتى مرقن بها من جوش والعلم" (المتنبي، عنوان القصيدة: المجد للسيف لا للقلم، ص495)

يندرج بيت المتنبّي ضمن شعر الرّحلة والوصف، الذي يحفل بحركات ذات أبعاد مكانية ورمزيّة، وسنحاول تطبيق نموذج "المسارات المصدريّة غير المحدودة" على هذا البيت، لكشف البنى التصورية الكامنة وراء صورة الرّحلة والفرار في شعر المتنبّي، وربطها بالأبعاد الدلالية والسياقية؛ حيث ينطلق المحور (الكيان المتحرك) من فضاء مفتوح (مصدر محدد غير مغلق) باتجاه فضاء غير محدّد أو ضمني في التركيب، مع استخدام أدوات تصوريّة مثل "من" للإشارة إلى نقطة الانطلاق، ويمكن توضيح الإطار العام للمسار وسماته كالآتي:

الشكل 04: تحليل المسار الفضائي في البيت الشّعري



المصدر: من إعداد الباحثة

- **حدث الحركة:** " الفعل طردت"؛ الذي يشير إلى حركة قسرية عنيفة، و"الفعل مرقن" الذي يدل على المرور والعبور.

-**المحور:** "أيديها" (كناية عن القبائل أو الجماعات)[4].

-**الدالة التصورية:** "من" (مرتين في البيت): تظهر "من" في "من مصر" و "من جوش والعلم"، مؤكدة على فضاء المصدر المحدّد المفتوح والهدف غير المحدّد.

-**المصدر:** أ- "مصر" (فضاء جغرافي وسياسي مفتوح) .

ب- "جوش والعلم" (فضاء طبيعي/معرفي مزدوج، حيث إنّ "جوش" تعني الزحام أو المكان المزدحم، و"العلم" قد يكون جبلاً أو علامة بارزة).

- تحليل الدلالات العرفانيّة في المسار الفضائي:

-**المسار الأول:** "طردت من مصر أيديها بأرجلها ": هنا الحركة قسرية (طرد) تنطلق من فضاء مفتوح هو "مصر"، الذي يمثل مركزاً حضارياً وسلطوياً، واستخدام "أرجلها" مع "أيديها" يخلق صورة جسدية تُمَكنن الجماعة، حيث تحوّل الأيدي (التي ترمز إلى العمل أو القوة) إلى أرجل (التي ترمز إلى الهرب والحركة السريعة)، هذا التحول يعكس حالة الاضطرار والفرار.

-**المسار الثاني:** "حتى مرقن بها من جوش والعلم": الحركة هنا هي "مرقن" (اختراق أو تخط سريع)، تنطلق من فضاء مزدوج: "جوش" (الزحام أو الاضطراب) و"العلم" (العلامة الجغرافية)، هذا المصدر المفتوح يمثل عتبة الخروج من مصر إلى الفضاء الأرحب، أما حدث الحركة "مرقن" فيوحي بتجاوز العقبة بسرعة وخفة، مما يعزز فكرة الهروب الناجح.

يصور المتنبّي الرّحلة هنا كحركة اضطرارية لا اختيارية، فالفضاء المفتوح "مصر" ليس نقطة انطلاق طوعية، بل فضاء مفروز عنه بقوة، أما تحويل "الأيدي" إلى "أرجل" يجسد الانزياح من حالة الاستقرار والعمل إلى حالة الحركة والهرب، هذا الانزياح يعكس الوضع السياسي أو الاجتماعي الذي قد يكون المتنبّي يشير إليه (ربما صراعات السلطة أو النفي)، أما المسار الثاني ("مرقن من جوش والعلم") فيمثل لحظة التحرر من الفضاء المحدّد (المصدر المفتوح) إلى فضاء غير محدد، ربما الصحراء أو المجهول، أمّا "جوش والعلم" فقد يكونان معبرين طبيعيين يرمزان إلى العقبات المادية والمعرفية التي تم تجاوزها.

وعليه، فهذا البيت يقدم رحلة مضطربة، حيث المسار المصدري المفتوح يعكس حالة الانتقال من المركز (مصر) إلى الهامش (المجهول)، وهذا يتوافق مع تجربة المتنبّي الشخصية في التنقل بين البلاطات والحروب،

[4] -.يستخدم المتنبي كلمة "أيديها" مجازياً للدلالة على جماعات بشرية، مما يضفي طابعاً حيوياً على الحركة.

حيث كانت الرّحلة غالباً فراراً من خطر أو بحثاً عن موطن جديد، ويستخدم المتنبّي المسارات الفضائيّة هنا لخلق ديناميكية مكانية تجعل القارئ يشعر بحركة المشهد، فـ "مصر" و"جوش والعلم" ليست مجرد مواقع، بل فضاءات مفتوحة تدفع بالحركة نحو الخارج، مما يعمق إحساس الرّحلة كعملية متواصلة، وعليه، نكشف كيف أن الصور الحركية في الشعر العربي الكلاسيكي لا تصف الرّحلة فحسب، بل تعبر عن حالات الاضطرار والتحول والتحرر، هذا التحليل يبرز قدرة اللسانيات العرفانيّة على جسر الهوة بين الدراسات اللسانيّة والنصوص الأدبية، وكشف الأنماط التصوّرية المشتركة التي تنظّم فهمنا للحركة في اللّغة والفكر.

4.1.1.7 المسارات المصدريّة الزّمنيّة: تمثّل اللسانيات العرفانيّة إطاراً نظرياً يُعنى بدراسة البنى التصورية الكامنة وراء استعمال اللّغة، ومن أبرز نماذجها تحليل مسارات الحركة التي لا تقتصر على الفضاء المكاني فحسب، بل تمتد لتشمل الفضاء الزمني.

يُعد المسار المصدري الزّمني صنفًا مغلقًا يتميز بكون موضوع الإحالة فيه هو الزمن، لا المكان أو الاتجاه، يتميز هذا النمط بتحديد المصدر زمنياً، بينما يظل الهدف الزمني غائباً أو غير محدد، مما يخلق إحساساً بالاستمرارية أو القفز عبر الأزمنة، تعامل اللّغة هنا المعرفة الزمنية معاملة فضائية، عبر استخدام ظروف الزمان (كـ "قَبْلَ"، "بَعْدَ") مقترنة بأدوات تصورية مثل "مِنْ"، ويعكس هذا النمط كيفية تعامل المعرفة الفضائيّة المتعلّقة بالمسارات مع المعرفة الزمنية معاملة فضائية (ينظر: العامري، 2019، ص 152)، ويُعدُّ نمط المسارات المَصْدَرِيّة الزمنية من الأنماط العميقة في شعر المتنبّي، حيث يُجسِّد الانزياحَ من زمن محدد إلى فضاء الحركة والرّحلة، وفي هذا السياق، ينبض بيت المتنبّي الآتي بحِراكٍ زمني واضح المعالم؛ حيث يقول في قصيدته المعنونة بـ"الموت ضرب من القتل": "بنفسي وليد عاد من بعد حمله إلى بطن أم لا تطرق بالحمل" (المتنبي، 1983، ص280)

ويمكن تفكيك المسار الفضائي هنا على النحو الآتي:

الشكل 05: تحليل المسار الفضائي في البيت الشّعري



المصدر: من إعداد الباحثة

حدث الحركة: "عَادَ"؛ يشير الفعل إلى حركة عودية تراجعية، تعني الرجوع إلى أصل أو حالة سابقة.

المحور: "وَلِيدٌ"؛ وهو الطفل الرضيع، ويحمل دلالة الضعف والبدائية والنشأة الأولى.

الدالة التصورية: "مِنْ"؛ التي تقترن هنا بظرف الزمان "بَعْدَ" لتشكيل مركب حرفي زمني.

المصدر الزمني: "بَعْدَ حَمْلِهِ"؛ وهي نقطة زمنية محددة في سيرة المحور، تلي مرحلة الحمل.

الهدف (المقصى): "إِلَى بَطْنِ أُمِّ"؛ وهو فضاء مكاني يشير أيضاً إلى زمن سابق أسبق من المصدر الزمني ("بعد الحمل")، وهنا تتمازج الأبعاد الزمانية والمكانية.

تحليل الدلالات العرفانيّة في المسار الفضائي: يصوّر البيت مساراً زمنياً فريداً معكوساً يستحيل تحقّقه في الواقع:

أ- المسار الطبيعي (الواقعي): وليد ← خرج من بطن أمه (بعد حمله) ← إلى العالم.

ب- المسار الشعري (المتخيل): وليد ← عاد من (بعد حمله) ← إلى بطن أم.

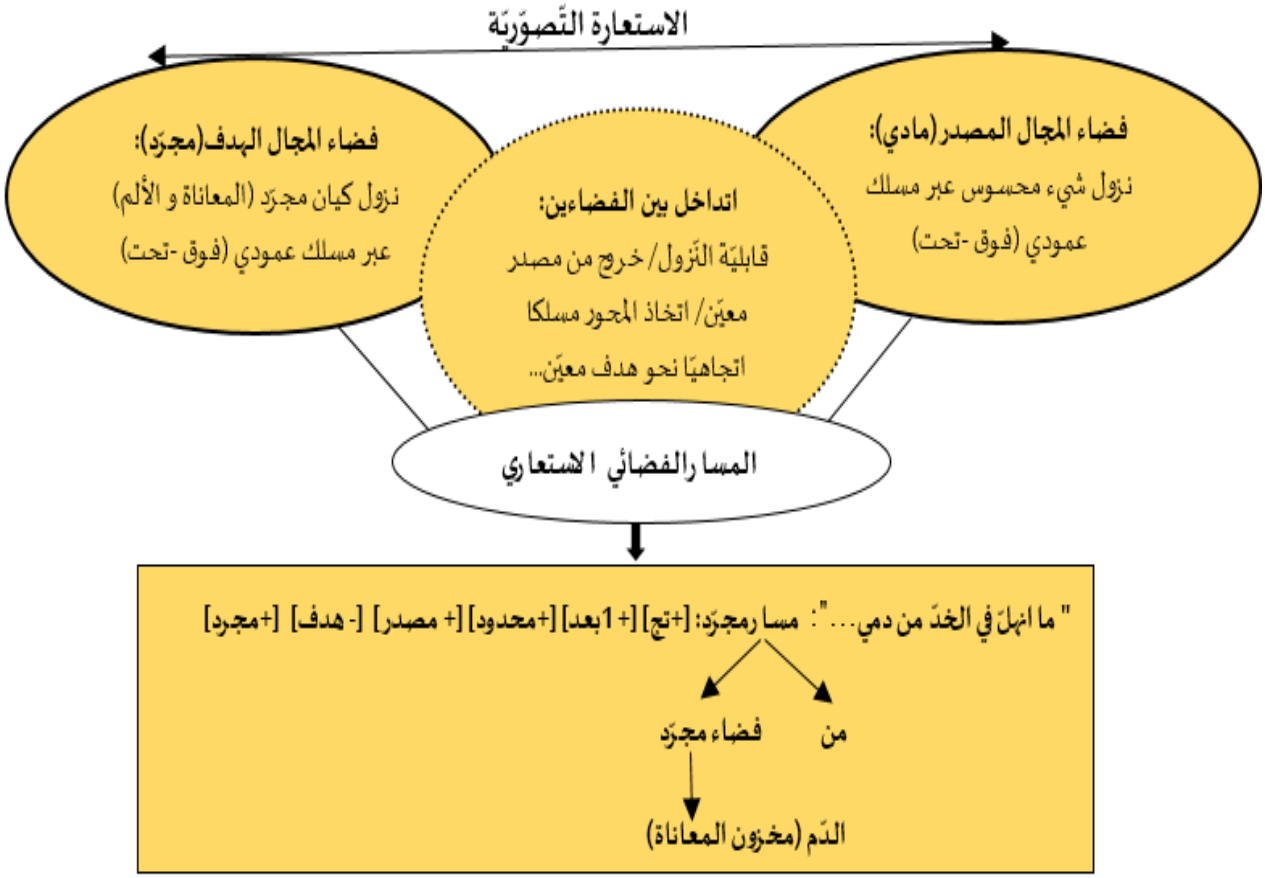
إنّ استخدام "عاد" مع "من بعد" يخلق تناقضاً تصورياً، فالعادة هي الرجوع إلى نقطة سابقة، لكن "بعد الحمل" هي لحظة لاحقة للوجود في البطن، يحل المتنبّي هذا التناقض بفرض مسار زمني دائري أو تراجعي، ينكسر فيه خط الزمن المستقيم؛ فالاستعارة الوجودية الكبرى: "الوجود رجوع إلى الأصل"، فالمحور (الوليد) لا يعود إلى مكان فحسب، بل إلى حالة وجودية أولى (الأمان، العدم النسبي، البداية)، وهذا يستدعي فلسفة الحنين إلى الماضي والرغبة في الانطواء والهرب من مخاطر الوجود والرّحلة في عالم الواقع؛ فالمصدر الزمني هنا هو رحلة ذهنية عكس الزمن، بحثاً عن ملاذ؛ حيث يتحول الوصف من الخارجي (الطبيعة، المعارك) إلى الداخلي الوجودي؛ فـ "بطن أم لا تطرق بالحمل" هو وصف لمكان يتّسم بالأمان في مقابل عالم الرّحلة الخارجي المليء بالطرق والمخاطر، وعليه، يشكل هذا البيت نقيضاً لروح الفتوح والانطلاق في شعر المتنبّي، إنه يعبر عن لحظة انهيار الرغبة في الرّحلة، والتمني المستحيل للعودة إلى نقطة الصفر، إلى "المصدر" الأول الذي يسبق حتى بداية الرّحلة الطبيعية للحياة.

يكشف تحليل بيت المتنبّي عبر نموذج المسارات المصدريّة الزمنيّة عن عمق التماسك بين الأنظمة التصورية في النصوص الشعرية، إن هذا المسار الزمني العكسي والمعكوس – من "بعد الحمل" إلى "بطن الأم" – ليس مجرد خيال شعري، بل هو بنية تصورية عميقة تجسد الصراع بين رحلة الوجود المضنية والحلم المستحيل بالعودة إلى براءة المنبع، وبذلك يربط المتنبّي بين شعر الرّحلة الخارجية والرّحلة الداخلية النفسية، مازجاً بين الوصف المكاني للحركة والتحليل الزمني للوجود، في صورة تبقى من أعظم تجليات الوعي بالزمن والمصير في الشعر العربي.

5.1.1.7 المسارات المصدريّة ذات الطبيعة الاستعاريّة: تقترح اللسانيات العرفانيّة أن فهمنا للظواهر المجردة يستند غالباً إلى تجاربنا الجسدية والمكانية الملموسة عبر آليات الاستعارة التصورية، وتُعد المسارات المصدريّة الاستعارية أحد أبرز التجليات اللغوية لهذه الآلية، وهي مسارات غير قابلة للمعاينة، وتنشأ عبر إسقاط مجازي من المجال المحسوس إلى المجال المجرد الهدفي لوجود تشابه، ويُشترط في هذا النمط تحديد مصدر انطلاق المحور المجرّد مع إبقاء موقع الإفضاء غير محدد، ليحاكي بذلك طبيعة النمط المصدري الحقيقي، ولتحليل نمط **المسارات المصدريّة الاستعاريّة** في شعر المتنبّي، سنختار بيتاً من قصائد الوصف يتضمن حركة مجردة (العواطف أو الأفكار) تنطلق من مصدر محدد عبر إسقاط حسي (النزول أو الخروج)، في محاولة لكشف البنى الاستعارية العميقة التي تنظم تصور الرّحلة والوصف في شعره، وسنحلّل في هذا النمط البيت الشعري الآتي:

"ولو لم يكن ما انهلّ في الخدّ من دمي لما كان محمرّا يسيل فأسقم" (المتنبي، 1983، عنوان القصيدة: لا تسلم الأعداء منه ويسلم، ص 114).

الشكل 06: تحليل المسار الفضائي الاستعاري في البيت الشّعري



المصدر: من إعداد الباحثة

- **حدث الحركة (المادي المحسوس):** "انْهَلَّ" و "يَسِيلُ"، يشير الفعل "انهلَّ" إلى التدفق الغزير والسريع للماء، و"يسيل" إلى الجريان المستمر، وهما فعلا حركة سائلة طبيعية.

- **المحور المجرد في المجال الهدف:** الدَمْعُ الحار / العاطفة الجياشة / الحزن المتدفق؛ فالشاعر لا يتحدث عن دم مادي، بل عن دمع يحمل صفة الدم (حرارته ولونه وربما رمزيته)، مما يجعله تجسيداً لعاطفة قاهرة.

- **الدالة التصورية:** "مِنْ"؛ تربط المصدر بالمحور وتؤسس للمسار.

- **المصدر الاستعاري المجرد:** "دَمِي"؛ لا يقصد به الدم العضوي في العروق، بل العاطفة الحيوية الجوهرية، أو مخزون المعاناة والألم الداخلي الذي هو مصدر كل انفعال.

- **تحليل الدلالات العرفانيّة في المسار الفضائي الاستعاري:** يُبنى البيت على استعارة تصورية كبرى يمكن صياغتها على النحو التالي:" العاطفة الجياشة هي سائل حار قادم من الأعماق"

أ- **المجال المصدر (المادي):** نظام جريان السوائل من وعاء/مصدر إلى الخارج، وله خصائص: التدفق، الغزارة ("انهل")، الاستمرارية ("يسيل")، والحرارة واللون ("محمرًا").

ب- **المجال الهدف (المجرد):** حالة العاطفة الحارّة الجارفة (حزن، شوق، ألم).

ج- **آليّة الإسقاط:** يتم إسقاط خصائص السائل (جريانه من مصدر، غزارته، حرارته، قدرته على الإمراض "فأسقم") على العاطفة، وهنا تكمن براعة المتنبّي في خلط الاستعارات: فهو يسحب أيضاً من مجال المرض والعلّة ("أسقم") ليربط بين تدفق هذه "العاطفة-السائل" وإصابة الخد بالمرض (الإسمرار أو الجرح المعنوي)، مما يعمّق التأثير الدرامي.

- **تحليل الدلالات العرفانيّة في المسار الفضائي:** يصوّر المسار الاستعاري حركة خروج العاطفة من المصدر الداخلي ("دمي" = الأعماق النفسية والوجدانية) إلى الخارج الظاهر ("في الخد")، حيث تتحول إلى دمع محمر مرئي، ينطلق المسار إذن من الداخل (المجهول، المجرد) إلى الخارج (المرئي، المحسوس)، في حين تشير "مِنْ" إلى نقطة الانطلاق المجرد (أعماق النفس)، دون تحديد دقيق لنقطة الإفضاء النهائية سوى سطح الجسد ("الخد")، ممّا يعطي إحساساً بلا نهائية التدفق والعذاب.

لا ينفصل هذا التحليل عن سياق شعر الرّحلة والوصف عند المتنبّي؛ فإذا كانت رحلة المتنبّي المكانية تصف عبور المسافات الجغرافية، فهنا يصف رحلة العاطفة عبر المسافة الجسدية، من الأعماق إلى السطح، إنها رحلة داخلية معاكسة لرحلة الفارس المظفرة، تكشف عن الوجه الآخر للبطل (الإنسان

المتألم الحساس)، كما يتحول الوصف هنا من وصف المناظر والخيول والمعارك إلى وصف حالة نفسية فيزيولوجية؛ فوصف الدمع "المحمر الذي يسيل" ليس مجرد تصوير بلاغي، بل هو تمثيل مرئي وملموس لرحلة الألم الداخلي إلى عالم الظهور، أما الخدّ هنا هو "المشهد" النهائي الذي تستقر عليه رحلة العاطفة.

إن استعارة "انهلاق العاطفة من الدم" عند المتنبّي تجعل حالة الحزن الشديد قابلة للإحساس والقياس المادي (بالحرارة واللون والجريان)، وهذا يظهر كيف أن الشعر الوصفي لا يقتصر على تصوير العالم الخارجي، بل يعتمد على هذه الآليات الاستعارية العميقة لوصف العالم الداخلي المعقد.

وعليه، يكشف تحليل بيت المتنبّي عبر نموذج المسارات المصدريّة الاستعارية عن التماسك المعرفي العميق بين المنظومات اللغوية، هذا المسار الاستعاري الداخلي – من "الدم" (مخزون المعاناة) إلى "الخد" (سطح الظهور) – ليس مجرد زينة بيانية، بل هو بنية تصوّرية تحكم تصوّر الشاعر لنفسه ولعواطفه، إنها تصف رحلة الألم من العمق إلى الظاهر، وتربط بين شعر الرّحلة الخارجي و"رحلة" المشاعر الداخلية، وبذلك يقدم المتنبّي نموذجاً راقياً للشعر الوصفي الذي يتعدى وصف المرئي إلى تمثيل المجرد عبر استعارات جذرية مستمدة من التجربة الجسدية المشتركة، مما يجعل نصه حياً ومؤثراً عبر العصور.

2.1.7 المسارات الهدفية: هو أحد أنماط المسارات الفضائيّة الأساسية، و"المعول عليه في عد هذا النمط من المسارات هدفيا هو أنّ محمولاته المسارية تكتفي بتعيين نقطة وصول الذات موضوع الإحالة داخل بنية المسار" (بوشعيب، 2011، ص 277)، فحركة المحور في انتقالها المفترض انطلاقا من موضع الابتداء تفضي إلى منتهى تستقر فيه، في تلاحم بين مقولتي الزمان والمكان، فالمحور المتحرك في اتجاه الانتهاء يقطع المسافة الفضائيّة في مدى زمني معيّن (شريحة، 2011، ص 195)، ومن الدوال التصورية المحيلة على هذا النمط في اللغة العربية ما يأتي:

إلى: التي "معناها انتهاء الغاية" (الرماني، 1981م، ص 115)، المكانية أم الزمنية، حيث أجمع النحاة على أنها توحي بانتهاء غاية العمل الذي تقوم به الذات المحيلة، على خلاف الدالة التصورية (من)، وتجدر الإشارة إلى أن (إلى) يجوز أن يقع المحور فيها على أول الحد، كما يجوز أن يتوغل في المكان (ينظر: بوشعيب، 2011، ص 277).

حتى: وهي دالة تصورية من معانيها بلوغ الغاية المكانية أو الزمنية، وإحالتها على هذه الأخيرة هي الأكثر شيوعا في اللّغة العربية.

وتجدر الإشارة إلى "كون (الحرف على) يتضمن المسار الاتجاهي الهدفي إلى عمقا، أي في بنيته قبل - المعجمية، وعليه، فالحرف على عنصر نووي في التعبير عن المسار" (العامري، 2019، ص161)؛ أي المسار الهدفي.

وبالرغم من توفر العبارات الفضائيّة على الدوال التصورية نفسها، إلا أنها تصف لنا مسارات هدفية ذات أوضاع فضائية مختلفة (ينظر: العامري، 2019، ص158) حسب موضوع الإحالة، وهذا ينتج لنا فروعا عديدة من هذا النمط نوجزها فيما يأتي:

1.2.1.7 المسارات الهدفيّة المتجهة نحو الأعلى: يتجه هذا النمط من الأسفل إلى الأعلى، حيث يكون الهدف مكانا تتوافر فيه سمة العلوّ والارتقاء (ينظر: العامري، 2019، ص157)، مستثمرا الاستعارة التصورية التي تجعل من الصعود الجسدي تعبيرا عن الرفعة المعنوية أو المادية، ومن أمثلته في شعر المتنبّي قوله:

"إذا صعدت إلى مال ذا رهبا وإن صعدت إلى مال ذا رهبا" (المتنبي، 1983، عنوان القصيدة: أحسنا الأدب، ص215)

وهو مسار تصاعدي من الأسفل إلى الأعلى، يجسّد المتنبّي المال كجبل شاهق والصعود إليه رحلة كفاح، يعكس هذا النمط الاستعارة التصورية: (الثروة العالية = مكان مرتفع)، ويتوافق مع شعر الرّحلة بوصف الطموح كحركة قهرية نحو القمم.

2.2.1.7 المسارات الهدفية المتّجهة نحو الأسفل: ينعكس الاتجاه في هذا النمط نحو الأسفل، محملا بدلالات السقوط أو النكبة أو الاستقبال القسري، حيث يكون الهدف مكانا من سماته الدنو (ينظر: العامري، 2019، ص157) والانخفاض، ومن أمثلته في شعر المتنبّي نجد قوله في قصيدته المعنونة ب " أسد فرائسها الأسود":

"أظمتني الدنيا فلمّا جئتها مستسقيا مطرت عليّ مصائبا" (المتنبي، 1983، ص110)

وهو مسار هبوطي قسري، تُستعار حركة "المطر" لنزول المصائب على الذات، وينقلب الأمل (الاستسقاء) إلى عذاب، مما يعكس رحلة الخيبة الوجودية.

3.2.1.7 المسارات الهدفية المحدودة (المغلقة): يرسم هذا النمط حركة تنتهي إلى فضاء محدد الأرجاء مغلق، يتسع للاحتواء أو الاحتماء (ينظر: العامري، 2019، ص157)، فيتلاحم فيه المكاني بالرمزي ليعبر عن الاستقرار أو الامتلاء القيمي، ومن أمثلته في شعر المتنبّي قوله في قصيدته " قفا قليلا بها عليّ ": "ومكرمات مشت على قدم البر إلى منزلي تردّدها" (المتنبي، 1983، ص511).

فالهدف من المسار ورد مغلقا (المنزل)، في حين تُجسّد المكرمات ككائنات حية تسكن الذات، بغرض التعبير عن رحلة الفضائل نحو الشاعر، والمنزل كملاذ أخلاقي يربط بين الوصف المكاني والوصف القيمي، حيث الاستقرار في الهدف المغلق رمز للأهلية والاستحقاق.

4.2.1.7 المسارات الهدفية المفتوحة: على النقيض من النّمط السّابق، يتجه هذا النمط نحو فضاء واسع غير محدد التفاصيل (ينظر: العامري، 2019 ص 159)، مما يخلق إحساسا بالامتداد والانطلاق نحو الأفق أو المصير الكلي، ومن أمثلته في شعر المتنبّي قوله: "جاء إلى الغرب مجيء السابق يترك في حجارة الأبارق" (المتنبي، 1983، عنوان القصيدة: كلّنا للخالق، ص230)

والهدف الذي يتّسم بالانفتاح هنا هو "الغرب" كفضاء كوني يجسّد الرّحلة الأسطورية نحو المنتهى، ليس وصولا إلى حيز ضيق بل احتلال رمزي للاتساع، وترك الأثر في الحجر تخليد للمجد في فضاء غير محدود.

5.2.1.7 المسارات الهدفية الدالة على الذوات (2-5): يحوّل هذا النمط المكاني إلى علائقي، حيث يصير الهدف ذات إنسانية (ممدوحا أو محبوبا أو مرجعية)، فتتحول الرّحلة الجغرافية إلى رحلة ولاء أو طلب أو احتجاج، ومن أمثلته في شعر المتنبّي قوله:

"فسرت إليك في طلب المعالي وسار غيري في طلب المعاش" (المتنبي، 1983، عنوان القصيدة: أبو الغمرات، ص245)

وقوله أيضا: " ولمّا قلّت الإبل امتطينا إلى ابن أبي سليمان الخطوبا" (المتنبي، 1983، عنوان القصيدة: فتى ترمي الحروب به حروب، ص194)

والهدف هنا شخص (الممدوح)، حيث يحوّل الشاعر هنا العلاقة الاجتماعية إلى حركة في فضاء القيم، يتميز مساره (نحو المعالي/الممدوح) عن مسار العامة (نحو المعاش)، فيصبح السفر إلى الذات الممدوحة اختيارا وجوديا نخبويّا.

6.2.1.7 المسارات الهدفية الزمنيّة: يتعامل هذا النمط مع الزمن كفضاء، فينطلق من بداية زمنية محددة (مصدر) إلى نهاية زمنية معلومة (هدف) (ينظر: العامري، 2019، ص162)، محمّلا بدلالات التراكم والتجربة والمصير، ومن أمثلته في شعر المتنبّي قوله في قصيدته " غبطت اعظمه الرميم ": "تخيّرت من أزمان يوم حليمة إلى اليوم قد جرّبن كل التجارب" (المتنبي، 1983، ص413)

إنّ الهدف هنا نقطة زمنية (اليوم)، يُعامَل فيها هذا الزمن كفضاء، حيث يمتد المسار من ماض مثالي (يوم حليمة) إلى حاضر مثقل بالتجارب، يعبّر عن رحلة العمر كتراكم للمعاناة، و"اليوم" كغاية زمنية مريرة.

7.2.1.7 المسارات الهدفية الاستعارية: يتجاوز هذا النمط الحقل المكاني المادي إلى الحقول المجردة (كالعرف والشكر والجميل)، مُسقطا بنية المسار الهادف على العلاقات الأخلاقية والتبادلات الاجتماعية، ومن أمثلته في شعر المتنبّي قوله:

"حال متى علم ابن المنصور بها جاء الزمان إليّ منها تائبا" (المتنبي، 1983، عنوان القصيدة: أسد فرائسها أسود، ص110)

وقوله أيضا: "فساق إليّ العرف غير مكدّر وسقت إليه الشكر غير مجمّم" (المتنبي، 1983، عنوان القصيدة: فدى لأبي المسك الكرام، ص461).

وهو مسار مجازي للقيم المجردة؛ حيث يُسقط فعل "سياقة" المادي على العرف والشكر، يخلق مسارين متعاكسين متكافئين (إحسان ← شكر)، يجسدان رحلة الفضائل بين الذوات، والعلاقة كحركة ديناميكية دقيقة.

وعليه، تتنوع المسارات الهدفية في شعر المتنبّي لتغطي الفضاء العمودي (أعلى/أسفل)، المغلق/المفتوح، الشخصي، الزمني، والاستعاري، تشكل جميعها بنية متكاملة تُظهر أن "الرّحلة" في شعره ليست انتقالا جغرافيا فقط، بل هي نموذج تصوري للطموح، العلاقة بالآخر، التجربة الوجودية، والتبادل الأخلاقي.

3.1.7 المسارات المصدرية الهدفية: في بعض الأحياء، تبرز تراكيب مسارية تجمع بين نمطين متكاملين من المسارات: المصدرية والهدفية؛ فإذا كان النمط الأول محددًا من جهة المصدر، والثاني محددًا من جهة الهدف، فإن هذا التركيب يصبح محددًا من الجهتين معتمدًا على الدلالات التصورية لكل منهما، كما تظهر في أدوات مثل: "من"، "إلى"، "على"، وقد تنوعت هذه التراكيب بين مسارات حقيقية وأخرى استعارية، فضلًا عن تراكيب ثالثة جمعت بين النمطين معًا، وسنحلل البيت الآتي الذي يجمع بين المسار الفضائي المصدري والهدفي في سياق استعاري عميق:

"رميت عداه بالقوافل وفضله وهنّ الغوازي السالمات القواتل" (المتنبي، 1983، عنوان القصيدة: دروع لملك الروم، ص377)

يجسّد البيت استعارة تصورية تحوّل الهجاء إلى معركة حربية ذات مسار مغلق ومحكم؛ حيث يمثّل الشاعر المصدر الفاعل، والعدو الهدف المقصود، وتنتظم الحركة من خلال فعل الرمي الذي يوجه القوافل والفضل كقذائف معنوية تقتحم فضاء الخصوم بدقة، ويكتسب هذا المسار الاستعاري عمقه من خلال ثنائية الهجوم المزدوج، حيث تساق الأبيات لتهين الخصم، وتساق الفضائل لتسحقه تفوّقا، وتأتي صفات: الغوازي، السالمات، القواتل لتؤكد كفاءة هذا المسار الحركي في الوصول الآمن وتحقيق الأثر

القاتل؛ بهذا، يحول المتنبّي الكلمة إلى جيش جرار، والشاعر إلى قائد عسكري خبير بميادين اللّغة، جاعلا من الوصف الشعري فعلا قتاليّا متكامل الأركان.

خاتمة:

في ختام هذا البحث، وبعد استعراض المرتكزات النظرية والإجرائية للمسارات الفضائيّة، يمكننا إجمال النتائج التي أفضت إليها الدّراسة في النقاط الآتية:

- أثبتت الدراسة أن اللسانيات العرفانيّة تُمثل نقلة نوعية في مقاربة اللّغة؛ إذ انتقلت بمركز الثقل من البنيات الشكلية الجامدة إلى النسق الذهني التداولي، وضمن هذا الإطار، تبين أن "المسار" ليس مجرد أداة لغوية للربط، بل هو خطاطة ذهنية جوهرية تُنظم إدراكنا للعالم، وتُحوّل الفضاء من مفهوم فيزيائي مجرد إلى بنية دلالية مُحملة بالخبرة الإنسانية.

- لقد كشف تطبيق نموذج المسارات المغلقة على المادة الشعرية، وتحديداً في شعر الوصف والرّحلة عند المتنبّي، عن التلاحم العميق بين اللّغة والفعل الإدراكي؛ إذ استطاع الشاعر ببراعة فائقة تطويع الأدوات التصوّرية لتجسيد حركية الوجود، مؤكداً أن العربية تمتلك مرونة فائقة في صياغة أنظمة مسارية تجمع بين دقة المصدر ووضوح الهدف، وقد أظهرت هذه الدراسة أن الحدود بين المسار الحقيقي والمجال الاستعاري ليست حدوداً فاصلة بقدر ما هي مناطق تداخل؛ حيث يتم توظيف "المصدر المحسوس" دائماً لنمذجة "الهدف المجرد"، وهو ما يمنح الخطاب الشعري طاقته التأثيرية وقدرته على جعل المعنويات ملموسة.

- تتجسد في شعر الوصف والرّحلة عند المتنبّي بنية مسارية مغلقة تجمع بين المصدر والهدف، حيث تتقاطع فيها الرحلات الحقيقية مع الاستعارات التصورية في وحدة موضوعية متكاملة؛ فقد وظف المتنبّي الدوال التصورية (مثل "من" و"إلى") بدقة هندسية لرسم مسارات حقيقية تصف الامتداد الجغرافي والسياسي ، كما استثمر النمط الاستعاري لتحويل القيم الأخلاقية والمهارات اللغوية إلى كيانات حركية تتنقل بين مصدر فاعل إلى هدف مقصود، وتفاعل هذه المسارات، بحقيقيها ومجازيها، يبرز براعة الشاعر في محاكاة حركة الجيوش والأسفار المادية عبر رحلات الكلمات والأبيات الشعرية، وهكذا تتحول قصيدة الوصف عند المتنبّي من مجرد تصوير للمشاهد الفضائيّة إلى بنية لسانية عرفانية تعكس تدبير الشاعر للعالم، مؤكدة مرونة التراكيب العربية في استيعاب ديناميكية الانتقال، سواء كان انزياحا في المكان أو غاية في الفضاء المعنوي.

- إن استنطاق النماذج اللغوية في ضوء اللسانيات العرفانيّة يفتح آفاقاً جديدة أمام الباحثين في مدونة التراث العربي، متجاوزاً بذلك المقاربات البنيوية التقليدية؛ فهي تقدم أدوات تحليلية قادرة على استيعاب تفرّد النصوص العربية وبلاغتها العالية، وتُثبت أن اللّغة العربية هي فضاء عرفاني خصب، يستحق مزيداً من الاستقصاء والدراسة وفق هذه المناهج المعاصرة التي لا تقرأ اللّغة كرموز، بل كأداة لبناء العالم وتشكيل وعي الإنسان به.

- في ختام هذا البحث، يمكن استشراف آفاق جديدة للدراسة عبر استقصاء أثر المسارات الفضائيّة في بناء الصورة الشعرية ودورها في توجيه وعي المتلقي، بالإضافة إلى بحث كيفية تقاطع الخطاطات المسارية مع تقنيات معالجة اللغات آلياً، فضلاً عن دراسة دلالات الفراغ أو "المسارات الضمنية" التي تنشأ بين الدوال التصورية وتكشف عن أبعاد إدراكية غير ملفوظة في النصوص التراثية.

مراجع البحث:

أولاً: المراجع باللغة العربية

1. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (1979)، معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام هارون، مج. 6)، دار الجبل.
2. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (1994)، لسان العرب (مج. 9، مادة "وصف"؛ مج. 11، مادة "رحل")، دار صادر.
3. أحمد، عطية سليمان، (د.ت)، الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية (نسخة إلكترونية).
4. اغليمو، محمد، (2015)، مقاربة فضائية لبعض أفعال الحركة في العربية والإنجليزية، دفاتر الدكتوراه (منبر طلبة الدكتوراه)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، جامعة الحسن الثاني، (1).
5. العاقد، أحمد، (2015)، الأمكنة الفسيحة: التمثلات الفضائية في السرد الروائي، مجلة نزوى الإلكترونية، بتاريخ 2026/02/25 من الرابط: https://www.nizwa.com
6. بوشعيب، راغين، (2011)، البنى التصورية واللسانيات المعرفية في القرآن الكريم (ط. 1)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
7. التميمي، جنات بنت عبد العزيز، (2013)، الزمن في العربية من التعبير النحوي إلى التمثيل الذهني: دراسة لسانية/إدراكية (ط. 1)، دار النشر (الرياض).
8. جحفة، عبد المجيد، (2000)، مدخل إلى الدلالة الحديثة (ط. 1)، دار توبقال للنشر.
9. جحفة، عبد المجيد، (2018)، دراسات دلالية في اللغة العربية (ط. 1)، دار توبقال للنشر.
10. جيدور، عبد الكريم، (2017)، اللسانيات العرفانية ومشكلات تعلم اللغات واكتسابها، مجلة العلامة، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية (ورقلة)، (ع5).

11. دحمان، نور الدين، (2012)، الترجمة المجازية من خلال الفكر اللساني المعاصر (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، جامعة وهران.
12. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، (1981)، معاني الحروف (تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط. 2)، دار الشروق.
13. زوزو، نصيرة، (2010)، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي المعاصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، (ع6).
14. شريحة، عثمان صادق، (2011)، مقولة الحرفية ومفهوم الفضاء في التراث النحوي: مقاربة لسانية (ط. 1). عالم الكتب الحديث.
15. الصعيدي، عبد الحكيم عبد اللطيف، (1996)، الرحلة في الإسلام: أنواعها وآدابها (ط. 1)، مكتبة الدار العربية للكتاب.
16. الصافي، محمد، (2020)، أهمية كتب الرحلات كمصدر في تدوين التاريخ: رحلة ابن بطوطة نموذجاً، مجلة آفاق للعلوم، الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة كلميم واد نون، (ع4).
17. العامري، عبد العالي، (2015)، بنية المسار في بعض أفعال الحركة الموجهة، في توفيق سعد الدين وسهام اليعقوبي (محررين)، اللسانيات المقارنة: أعمال الندوة الأولى للدكتوراه، مختبر إعداد اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة.
18. العامري، عبد العالي، (2016)، التصور الاستعاري لبنية المسار في اللغة العربية، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، (ع3).
19. العامري، عبد العالي، (2019)، المسارات الفضائية في اللغة العربية (ط. 1)، دار كنوز المعرفة.
20. العامري، عبد العالي، (2018)، الاستعارة التصورية وبناء المعنى في ضوء اللسانيات المعرفية (ط. 1)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
21. العيساوي، عبد القادر، (د.ت)، خصائص شعر المتنبي. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، (ع9).
22. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (د.ت)، إحياء علوم الدين (ج. 2)، دار الكتاب العربي.
23. غاليم، محمد، (2011)، هندسة التوازن النحوي وبنية الذهن المعرفية، في هيثم السرحان (مشرف ومحرر)، آفاق اللسانيات: دراسات ومراجعات (شهادات تكريم الأستاذ الدكتور نهاد الموسى) (ط. 1)، مركز دراسات الوحدة العربية.
24. قدامة بن جعفر، (1998)، نقد الشعر (تحقيق كمال مصطفى). مكتبة الخانجي.
25. قفصي، فوزية، (2013)، شعرية الوصف في أدب الرحلة: رحلة ابن بطوطة أنموذجاً. مجلة فواصل في اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، المركز الجامعي بالطارف، (ع37).

26. كاظم، زينب علي. (2019). الفضاء الروائي في رواية (ضوء الكبريت) للكاتب عبد الهادي أحمد الفرطوسي، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، (ع52).

27. مجدوب، عز الدين، (2012)، إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين (ج. 1، مختارات معربة). المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة).

28. مرتاض، عبد الملك. (1998)، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

29. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، (1983)، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر.

30. المقدميني، الحبيب، (د.ت)، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانيّة، صابر الحباشة (محرر)، دراسات في اللسانيات العرفانيّة: الذهن واللغة والواقع.

31. نادية، محمد عبد الله، (1983)، الرحلة بين الواقع والخيال عند أندريه جيد، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (ع4).

32. نجمي، حسن، (2000)، شعرية المتخيل والهوية في الرواية العربية: دراسة نقدية (ط. 1)، المركز الثقافي العربي.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية:

33. Hickmann, M & ,Robert, S, (2006), Space in Languages: Linguistic Systems and Cognitive Categories, John Benjamins Publishing Company.
34. Levinson, S. C & ,Wilkins, D. P, (2006), Grammars of Space: Explorations in Cognitive Diversity. Cambridge University Press.
35. Littré, É. (1873), Dictionnaire de la langue française (Tome deuxième). Hachette (Lahure).
36. Siouffi, G 100 ,(1999), fiches pour comprendre la linguistique, Bréal Éditions.
37. Talmy, L, (2000), Toward a Cognitive Semantics (Vol. 2: Typology and process in concept structuring). The MIT Press.